

السجاد

السجاد أكثر منتجات الفن الايراني انتشارا في العالم . وأكبر الظن أن شهرة إيران في هذا الميدان ترجع الى العصور القديمة ، وأنها كانت تصدر السجاد الى الاغريق ثم الى البيزنطيين ثم الى الغربيين في العصور الوسطى . ولا عجب فقد كانت أبهة السجاجيد الايرانية أول ما يبدو لمن يزور إيران من الرحالة أو يتصل ببلاطها من السفراء ورجال البعثات ؛ فضلا عن أن موازنة هذه السجاجيد بما كان ينتجه الغرب لم تكن لتترك أى مجال للشك في التفوق العظيم الذى أحرزه الايرانيون في هذا الميدان .

على أن أقدم السجاجيد الايرانية المعروفة ترجع الى عصر السلاجقة في القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) . وكان نسيج السجاد شائعا بين القبائل الرحل وبين الأسرات الايرانية العادية ، وفي المصانع التجارية المختلفة . أما اهتمام البلاط والأمراء بانتاج السجاد فقد بدأ في القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ؛ وأنشئت مصانع النسيج الشاهانية لينسج فيها مهرة الصنائع السجاجيد الجميلة ، لقصور الشاه أو للأمراء والملوك الأجانب الذين يأمر باهدائها اليهم .

ولا ريب في أن إيران كانت أكبر مركز لصناعة السجاد في الشرق كله ، وأن المراكز الأخرى تأثرت بأساليبها الفنية كل التأثير ، كما نرى في الهند وتركيا اللتين تأثرتا بها مباشرة ، ثم بلاد القوقاز التى كانت منتجاتها في هذا الميدان

خايطا من الأساليب التركية والإيرانية، ثم مصر وأسبانيا اللتين تأثرتا بها عن طريق تركيا^(١).

ولعل السبب في ازدهار الصناعة في إيران هو تشجيع الملوك والأمراء ورجال الدولة، وإنفاقهم الأموال الطائلة في إنتاج أحسن الفرش والأبسطة وأنقرها مادة وحسن صناعة على يد كثيرين من العمال، يشتغلون الشهور الطويلة في صنع سجاجيد تخرج آية في الفن ولا يدرى المرء بأى شيء يعجب فيها، أبضارة الألوان وانسجامها، أم بجمال الزخارف ودقتها، أم بمتانة الصناعة وإتقانها؟



وقد كتب الأستاذ الدكتور أحمد زكي بك في العدد الخاص الذي أصدرته مجلة الثقافة عن إيران في ١٤ مارس سنة ١٩٣٩ مقالا نفيسا عن الأبسطة والسجاجيد، جاء فيه أن عالما إنجليزيا اسمه رتشارد هكلوت (Hakluyt) عاش في القرن السادس عشر الميلادي. ونشر كتابا اسمه "الرحلات" قال فيه يخاطب التاجر الرحالة من تجار بلده.

"... وفي فارس ستجد أبسطة من الصوف الحشن ذات فضالات من خيط مرسلة عند أطرافها، فهذه أحسن أبسطة الدنيا، وألوانها أجمل ألوان، فإلى هذه المدائن والبلدان فتوجه، وفيها فاعمل كل حيلة لتعلم من

(١) لا شك في أن مصانع السجاد في تركيا ومصر والهند أنتجت أنواعا جيدة من السجاد؛ ولكن هذا الإنتاج كان محدودا، فضلا عن أنه كان متأثرا بالأساليب الإيرانية أيضا، ولم يكن فيه تنوع كبير، فاشتهرت كل من هذه البلاد بإنتاج نوع معين من السجاد، بينما ذاع صيت إيران في إنتاج أنواع مختلفة.

أهلها كيف تصبغ هذه الفتائل ؛ فهي مصبوغة بحيث لا يؤثر في لونها مطر أو خل أو حمر . فاذا أنت بلغت منهم علم ذلك ، واكتنفت كنه هذا السر العجيب ، أممك أن تستخدمه في صبغ القماش ، وأنت واثق ؛ فالصبغة التي تثبت في الفتائل الخشنة تكون أكثر ثبوتا في الثوب المنسوج وأسأل عن سوائل الصباغة وحواليج الصبغ وتعرف أثمانها . وإذا أنت استطعت أن تعود برجل واحد يحسن صناعة الأبسطة التركية ، فقد غنمت الخير الكثير لأمتك والكسب والعمل لشركتك “ .



ولسنا نريد في هذا المقام أن نعرض للناحيتين العلمية والصناعية في نسج السجاد ؛ فهما لازمتان للاختصاصيين ورجال العلم من المشتغلين بهذه المسائل ؛ ولكنا نخشى أن يكون في بحث هاتين الناحيتين خروج عن المسحة الفنية العامة التي نريدها لهذا الكتاب ؛ فحسبنا أن نقتطف بشأنهما ما نحتاجه من مقال الدكتور أحمد زكي بك ؛ فقد أصاب فيه أبعاد حدود التوفيق في تبسيط البيانات العلمية البحتة .

وقد ذكر الأستاذ في مقاله أن الخيوط كانت تصبغ قبل نسج السجاجيد والأبسطة ، ” وأن كل اعتماد الشرق في قديمه كان على صبغات نباتية أو حيوانية قليلة - قليلة بالنسبة لألوف الأصباغ المصطنعة اليوم اصطناعا . فكانوا يغطسون الغزل فيها فيحصلون على ألوان بعدد ٥ - هذه الصبغات . ثم هم يعيدون تغطيس الغزل في غير صبغته الأولى فيؤلفون بهذا بين الصبغات المختلفة فيحصلون منها على ألوان جديدة عديدة ، هي أوساط بين تلك الصبغات

وبهذا يوسعون فيما ضيق الطبيعة عليهم فيه . ومن أمثلة هذه الأصباغ وأشهرها النيلة أو النيلج وهي زرقاء ثم الفوة وهي حمراء ، وكلتاها من النبات “ .



وتدل المصادر الأدبية والتاريخية على أن إيران في بداية العصر الإسلامي كانت أعظم البلاد شهرة في إنتاج السجاد؛ فكانت السجاجيد الإيرانية الثمينة تفرش في الحفلات الرسمية ببلاط يزنطة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) . وكتب جغرافيو العرب الأقدمون عن كثير من المدن الإيرانية وذكروا أنها كانت مركزا لنسج السجاد^(١) . وأكبر الظن أن زخارف السجاجيد الإيرانية غلبت عليها العناصر الهندسية والنباتية منذ بداية العصر الإسلامي إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) .

ومهما يكن من الأمر فإن أقدم المعروف من السجاد اليدوي في إيران يرجع إلى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) . ففي متحف بولدي بدزولي Poldi Pezzoli في ميلان سجادة إيرانية بديعة عليها بيت شعر فارسي نصه :

شد از سعی غیاث الدین جامی * بدین خوبی تمام این کارنامی

سنة ٩٢٩

ومعناه أن هذه التحفة الجميلة تم صنعها في سنة ٩٢٩ (١٥٢٣ م)

على يد غياث الدين جامي^(٢) .

(١) راجع المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢٧٦ وما بعدها .

(٢) انظر المصدر نفسه ج ٦ ص ١١١٨ ؛ و F. Sarre & H. Trenkwald:

Old Oriental Carpets ج ٢ ، لوحة ٢٢

وثمة سجادة أخرى قد تكون أقدم قليلا من سجادة بولدى بدزولى ، إذا صح ما يقال عن أنها كانت بين الغنائم التي استولى عليها السلطان سليم العثماني حين فتح مدينة تبريز سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م)^(١) . وهذه السجادة في مجموعة المستر بيجيان Bégian ، ونحن لا نميل الى تصديق ما يقال عن صلتها بفتح تبريز، حتى يقوم على صحته دليل قوى ؛ وأكبر ظننا أنها ترجع الى نهاية القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) .

وثمة سجادة أخرى مشهورة جدا طولها ١١,٥٢ مترا وعرضها ٥,٣٤ وهي تحفة فنية نادرة المثال محفوظة الآن في متحف فكتوريا والبرت بلندن . وقد كانت قبل ذلك في مدينة اردبيل ، بضريح الشيخ صفى الدين جد ملوك الأسرة الصفوية . وفي وسط هذه السجادة جامة أو صرة كبيرة ، وحولها جامات أخرى صغيرة وبيضاوية . والأرضية تزينها رسوم الزهور والزخارف النباتية ذات الألوان البراقة . أما الأركان ففي كل منها رسم يتكون من ربع جامة كبيرة حولها جامات صغيرة . وإطار هذه السجادة غاية في الجمال فهو مكون من أشرطة مملوءة بدوائر ومستطيلات ذات فصوص فضلا عن رسوم الزهور والزخارف النباتية . وفي طرف من أطراف السجادة مستطيل فيه بيتا شعر لحافظ الشيرازى^(٢) ، وتحت العبارة الآتية : « عمل بنده دركاه مقصود كاشانى سنة ٩٤٦ » . أى « عمل خادم الأعتاب مقصود القاشانى سنة ٩٤٦ هـ (١٥٣٩ م)^(٣) »

(١) راجع مقال الأستاذ فريت في مجلة Syria سنة ١٩٣٢ ص ١٩٧

(٢) هما :

جزآستان توام درجهان پناهى نيست * سرمرا بجزاين درحواله كاهى نيست
ومعناهما : لا ملجأ لى فى الدنيا الا عنبك ولا حى لرأسى الا هذا الباب .

(٣) انظر المصدر السابق للاستاذين زره وترنكولد Sarre-Trinkwald ، ج ٢ لوحة ١٨



أما السجاجيد التي ترجع الى ما قبل العصر الصفوي فلم يصل منها شيء يستحق الذكر؛ والذي نعرفه عنها مستمد من رسمها في الصور الإيرانية، واللوحات الفنية الأوروبية التي ترجع الى القرن الرابع عشر الميلادي. وأكثرها سجاجيد صغيرة ذات زخارف هندسية أو رسوم حيوانات محورة عن الطبيعة. وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) كانت الزخارف هندسية فحسب، كما نرى في نوع أطلق عليه اسم هولبين وهو المصوّر الألماني هانس هولبين Hans Holbein الأصغر الذي عاش في بداية القرن العاشر الهجري (١٤٩٧ - ١٥٤٣ م)؛ ورسم في بعض صورهِ سجاجيد من هذا النوع.

ولا غرو فقد كانت هناك تجارة واسعة في السجاد الإيراني بين الشرق والغرب في العصور الوسطى؛ ولم ترد هذه السجاجيد في اللوحات الفنية فحسب؛ بل جاء ذكرها مراراً في القوائم التي كانت تكتب عن الكنوز الفنية في القصور والمجموعات الفنية المختلفة. وقد عني باقتنائها الملوك والأمراء وأعلام الفنانين، ولا سيما روبرتس Rubens، الذي كانت له منها مجموعة طيبة، اضطر الى بيعها في نهاية حياته.

(١) أنظر J. Lessing: Altorientalische Teppiche؛ و K. Erdmann: Orientalische Tierteppiche auf Bildern des XIV und XV Jahrhunderts. في الكتاب السنوي للمجموعات الفنية البروسية Jahrbuch der Preussischen



وكانت السجاجيد الإيرانية تختلف باختلاف صانعيها والذين كانت تصنع لهم، فضلا عن أنها تطورت، فكانت صناعتها في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) شابة قتيبة، وبلغت عصرها الذهبي في القرنين العاشر والحادي عشر بعد الهجرة (السادس عشر والسابع عشر) ثم دب إليها الضعف في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (الثامن عشر والتاسع عشر).
وأما في القرن الحالي فقد فقدت نضارتها القديمة بل غدت منتجاتها سوقية ولا يمكن موازنتها بالسجاجيد الإيرانية القديمة، اللهم إلا بعض السجاجيد التي يعنى بها عناية خاصة.

وطبيعي أن أبداع السجاد الإيراني ما كان يصنع للملك وكبار الأمراء، ثم يليه الذي كان يصنع في المراكز الرئيسية التي اشتهرت بنسج السجاد مثل إصفهان وكرمان وقاشان وقم وتبريز وكرباغ وهمدان وشستر وهراة ويزد..
وكانت أكثر الصادرات من هذا النوع، فضلا عن أن رجال الطبقة الوسطى كانوا يقبلون عليه إقبالا شديدا. أما أبسط الأنواع فهي التي كانت تصنعها القبائل الرحل وعامة الشعب في المدن.

وكثيرا ما كان الملوك والأمراء يطلبون إلى أعلام المصورين والرسمين أن يقوموا بأعداد الرسوم التي تزين بها السجاجيد الفاخرة. والمعروف أن المصورين كان لهم في البلاط وفي الحياة الاجتماعية نفوذ كبير بين القرنين التاسع والحادي عشر بعد الهجرة (الخامس عشر والسابع عشر بعد الميلاد) فلم يصوروا المخطوطات فحسب، بل أشرفوا على شتى أنواع

الزخرفة : في العماز وعلى المنتجات الخزفية والمنسوجات والسجاد . ولعل
أعظم من اشتغل من المصورين بعمل زخارف السجاد هم بهزاد وسلطان
محمد وسيد علي .



وتركب السجاجيد والأبسطة من الرقعة والخميلة . أما الرقعة فالنسيج
التحتاني وتصنع من القطن وخيوط الكتان . وأما الخميلة فالنسيج الفوقاني
وهو في أكثر الأحيان من الصوف الطويل الشعرات أو الحرير .

والسجاجيد نوعان : يدوي شرقي ومكثي غربي ؛ وقد قال الدكتور
أحمد زكي بك في مقاله سالف الذكر إنهما يختلفان اختلافا كبيرا من حيث
تركيبهما ونسجهما . « ففى اليدوى الشرقى تستقل رقعة السجاد عن خميلته .
والرقعة فيه نسيج ككل الأنسجة له سداه وله لجمته وهو كأبسطة ما تكون الأنسجة .
والخميلة عبارة عن خصل مستقلة من الصوف المشوط تعقد من أواسطها
على خيوط السدى عقدا . أما فى المكثى الغربى فخميلته من رقعته فما هى
إلا نتوءات خرجت بها خيوط سدى الرقعة عن مستوى الرقعة فبانت ككلمات
الثدى والثدى كثيرة عديدة .

ومنسج البساط الشرقى بسيط فهو يتكون من عارضتين من الخشب
متوازيتين تمتد بينهما خيوط السدى وطول هاتين العارضتين هو عرض
البساط وبعدهما بينهما هو طوله . وتعقد خصل الصوف عقدا على خطوط
السدى . وهذه الخصل تبلغ البوصتين طولاً وقد تقصر وقد تطول . وتختار
ألوانها حسب الرسم الموجود أمام الناصح فإذا تمّ الصّف أو بعض الصّف
دفعه بالمشط جذبا الى اخواته وشد عليه خيطين أو أكثر من خيوط اللجمة

ثم عاد سيرته الأولى يعقد الخصل على السدى . ويختلف نوع العقدة باختلاف البلاد ويستخدم نوعها في تعرف البلد الذي عقدت فيه . فالعقدة التركبية تلتف الخصلة الواحدة من الصوف فيها حول خيطين متجاورين من السدى بحيث تجمع بينهما من أعلى ثم يدور طرفاها غائصين في مستوى الرقعة وراء هذين الخيطين ثم يجتمعان فينقذان بينهما صاعدين معا متلامسين الى وجه الرقعة فيحلان محلها من ناحية البساط . أما العقدة الفارسية فتلتف الخصلة فيها وراء خيط واحد من السدى ولا تلتف حول جاره وإنما تحتضنه من تحته احتضانا وفي كلتا الحالتين من التفاف واحتضان ينتهى طرفاهما فوق الرقعة في مكانهما من الخيلة .

ويتبين من صفة هاتين العقدتين أن الخصل — وهى التى تتألف منها ناحية السجاد اليدوى — لا تكون رأسية أبدا على سطح الرقعة بل تنام ملقبة بأطرافها نحو طرف السجاد اليدوى . ويتعسر بل يتعذر على المكثات تقليدها .

ويلاحظ في العقدة الفارسية أنها تأذن باكتناز الخصل أكثر مما تأذن به العقدة التركبية ومن أجل هذا يستطيع معها نسيج أبسطة فيها الخصل أرق وأكثر؛ وفي رقة الخصل وكثرتها مجال للتلوين والتصوير أوسع وأفسح^(١) .



ويرجع جمال السجاد الايرانى وشهرته الى إبداع ألوانه وتناسقها وحسن توزيعها، والى متانة الصنعة والعناية بالصوف حتى لقد كانت الغنم تربي

(١) راجع مقال الدكتور أحمد زكى بك فى ص ٥٦ و ٥٧ من عدد "الثقافة" الذى

أشرنا إليه .

خصيصاً ويعنى بنظافة صوفها لينسج منه السجاد . كما أن الحرير وخيوط الذهب والفضة كانت تدخل في صناعة السجاجيد الشاهانية النفيسة .

وقد مرّ بنا أن أقدم السجاجيد الإيرانية المعروفة ترجع الى العصر الساجوقى . وألحق أننا قد نستنبط من المصادر التاريخية والأدبية وجود سجاجيد إيرانية ثمينة في القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) في بلاط الدولة الغزنوية . ومع ذلك كله فإننا نستطيع أن نقول إن صناعة السجاد في إيران تطورت ببطء في العصر الاسلامى ولم تبلغ أوج عزها إلا في القرن العاشر بعد الهجرة ثم بدأت في الاضمحلال منذ نهاية القرن الحادى عشر (السابع عشر الميلادى) .

ولكننا نستطيع أن نعتبر نسج السجاد ، بالرغم من هذه الحياة القصيرة ، خير الصناعات التى تمثل العبقرية الفنية الإيرانية ؛ ولا غرو فقد كانت هذه الصناعة أعم وأكثر انتشاراً ؛ ولا يعيبها فى شيء أن أبطالها لم تردّد الألسنة أسماءهم كما رددت أسماء الخطاطين والمذهبين والمصوّرين ^(١) .

وأكثر السجاجيد الإيرانية القديمة مستطيلة الشكل وألوانها هادئة تغلب عليها الزرقة والحمرة . ونجد أن ما كان فيها من أصفر قد بهت بمرور الزمن وانكسرت حدته .

(١) لعل السبب فى أن السجاجيد التى عليها أسماء صانعيها نادرة جداً هو اشتراك عدد كبير من الصناع فى السجادة الواحدة فضلاً عن اعتبار السجاد من الأثاث الضرورى للقصور والبيوت والخطايا ؛ فهو من هذه الوجهة سلعة تجارية ؛ ولكن الفن وحسن النون كانا حلين الصناع الإيراني فى معظم منتجاته .

تقسيم السجاجيد الإيرانية وتاريخها

وقد اختلف رجال الفنون في تقسيم السجاجيد الإيرانية فبعضهم يقسمها باعتبار زخرفها ، بينما يذهب آخرون الى تقسيمها بحسب مراكز صناعتها في إيران ؛ ولكن الوصول الى هذا التقسيم الأخير ليس سهلا ميسورا ، لأن البيانات الصحيحة بهذا الشأن نادرة جدا ، فضلا عن أن المصانع في البلاد الإيرانية المختلفة كانت تقلد أى طراز ينال رواجا كبيرا ولو كان موطنه في بلد آخر ^(١) . وعلاوة على ذلك فإن مركز الصناعة قد يكون قرية وقع عليها الاختيار . لسهولة الوصول اليها ، ولكثرة المواد الأولية حولها ، ولجوذة مياهها ، بينما يكون تصميم السجاد وإعداد رسومه في مصانع البلاط بالعاصمة أو في بلد كبير آخر ، فتكون العاصمة أو هذا البلد الآخر أعظم شأننا من القرية التي يكون العمل فيها مقصورا على النسيج وتنفيذ ما تطلبه المراجع الفنية الرئيسية ^(٢) . ولا يجب أن ننسى أمرا يتعلق بطبيعة الفن الاسلامي عامة وهو أنه فن ملكي ارستقراطي ، فكانت المصانع المختلفة تقبل على إنتاج النوع الذي يحوز رضا الشاه ، فيصعب أن ينسب هذا النوع الى إقليم بالذات ؛ ولكن بعض الملوك ، كالشاه عباس مثلا ، كانوا يحرصون على أن تحتفظ مصانع كل إقليم بخصائصها

(١) حقا إن صناع السجاد لم ينقلوا بين المراكز الفنية انتقال غيرهم من الفنانين ؛ لأن جودة العمل لم تكن نتيجة عبقرتهم الفنية فحسب ؛ بل كانت تتوقف على أعوانهم وعلى المواد الأولية التي يشتغلون بها وعلى طبيعة الماء في الجهة التي يعملون فيها وما الى ذلك مما لا يسهل نقله .

(٢) نذكر في هذه المناسبة أننا لاحظنا في أوروبا ، ولا سيما في فرنسا ، أن بعض النashرين في العواصم والمدن الكبرى يطبعون ما يصدرونه من المؤلفات في الريف أو في بعض المدن الصغيرة حيث يستطيعون الاطمئنان الى حسن سير العمل فضلا عن وخص الأيدي العاملة .

الخاصة ؛ ولعل هذا الحرص كان سببا في أن بعض المراكز الفنية مثل جوشقان قالی احتفظت بطابع خاص في كل ما أنتجته من السجاد .

وقصارى القول أنه من الممكن تقسيم السجاجيد الإيرانية الى أنواع مختلفة بحسب زخارفها، كما يمكن نسبة بعض هذه الأنواع الى مصانع بعض المدن الإيرانية المعروفة؛ ولكن بعض المدن الأخرى لا يمكن أن تنسب اليها أنواع بالذات، كما أن بعض الأنواع لا نستطيع نسبتها الى أى مدينة بالذات .

وكان مؤرخو الفنون الإسلامية في بداية هذا القرن يميلون الى نسبة بعض السجاجيد الإيرانية الى عصر سابق بقرن أو قرنين عن العصر الذى تنسب اليه الآن . والحق أن معظم السجاجيد المصنوعة في القرنين العاشر والحادى عشر بعد الهجرة (السادس عشر والسابع عشر بعد الميلاد) يمكن تأريخها على وجه التقريب ، وذلك بفضل بعض السجاجيد المؤرخة التى وصلتنا، وبفضل ما كتبه في وصف السجاجيد الإيرانية بعض الرحالة الغربيين ، وما جاء عنها في البيانات التى كتبت عن الكنوز الفنية في بعض القصور والمجموعات الأثرية في القرون الماضية؛ وبفضل موازنة رسومها وزخارفها بما نعرفه في المؤرخ من المخطوطات والصفحات المذهبة والمنسوجات .

وفضلا عن ذلك فان تصوير السجاجيد الإيرانية في اللوحات الفنية الأوروبية عنصر له قيمته في تأريخها . والمعروف أن أكثر السجاجيد التى رسمها المصورون الأوروبيون في لوحاتهم الفنية من منتجات آسيا الصغرى ؛ ولكنا نعرف أيضا أن السجاجيد المصنوعة في شرق إيران والتي تنسب الى هراة ، رسمت كثيرا في اللوحات الفنية الأوروبية التى ترجع الى نهاية

القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) والنصف الأول من القرن السابع عشر .

على أن تاريخ السجاجيد الإيرانية ، على وجه عام ، أمر محفوظ بكثير من الصعاب ؛ فاننا اذا أردنا الحكم بحسب الموضوعات الزخرفية وتطورها لم نجد النجاح حليفنا في كل الأحوال ؛ وحسبنا أننا نجد في السجادة الواحدة موضوعات زخرفية مختلفة في تطورها فيحملنا بعضها على تقديم تاريخ التحفة ويدفعنا البعض الآخر الى تأخيرها .

ومهما يكن من الأمر فان أعظم السجاجيد الإيرانية شأننا ما يرجع الى القرنين العاشر والحادي عشر بعد الهجرة (السادس عشر والسابع عشر بعد الميلاد) . وقد قدر الأستاذ بوب A. U. Pope عدد المحفوظ من هذه السجاجيد في المتاحف والكائس والمجموعات الخاصة ، والذي ظهر منها في أسواق السجاجيد الأثرية ، قدره بزهاء ثلاثة آلاف سجادة كاملة .



السجاجيد ذات الصرة أو الجلجمة

وهي نوع من صناعة شمالي إيران ولا سيما في تبريز وفي قاشان . وترجع أحسن منتجاته الى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) . وقد بدأ الاضمحلال يدب اليها منذ القرن التالي .

وتتكون زخارف هذه السجاجيد من صرة أو جلجمة في الوسط ، ذات أشكال مختلفة أو فصوص ، وقد يمتد من طرفي الجلجمة الأعلى والأسفل موضوع زخرفي أو إناء معلق الى جانبي السجادة ، وفي الأركان أرباع

جامات . وهذا النوع من الزخرفة عام في الفنون الإسلامية ، ولا سيما في جلود الكتب والصفحات الأولى المذهبة في المخطوطات ، وهو من أكبر الأدلة على غرام الفنانين المسلمين بالتوازن والتقابل في الرسم والزخرفة .
 وأما أرضية هذا النوع من السجاجيد فكانت من رسوم الزهور والفروع النباتية المحورة أو السيقان ذات الزوايا ، فضلا عن رسوم السحب الصينية . واستعملت فيها الألوان الأحمر والأخضر والأزرق الفاتح والغامق والأسمر والأصفر والأبيض . وامتازت تلك السجاجيد بأن لها إطارا ثانويا صغيرا داخل الإطار الخارجي . ويمكننا أن نقول إن المعروف من السجاجيد ذات الصرة أكثر عددا من المعروف من سائر أنواع السجاجيد الإيرانية ، وإن تلك السجاجيد كانت أبدع منتجات السجاجيد في شمال غربي إيران ، حيث كانت البيئة وطبيعة البلاد في إقليم آذربيجان مرتعا للفنون الجميلة ولا سيما فن صناعة السجاد .

ومن المحتمل أنها كانت تفرش في المساجد لخلق معظمها من الرسوم الآدمية والحيوانية ، ولكن ثمة سجاجيد ذات جامة وفي زخارفها رسوم آدمية وحيوانية ، مثل السجادة المشهورة في متحف بولدى بوزولى Poldi Pezzoli . ومن أبدع ما أخرجته مصانع السجاد في البلاد سجاجيد ذات جامة ومصنوعة من الحرير المحلي بالخياط المعدنية . وتنسب السجاجيد الحريرية في أغلب الأحيان إلى مدينة قاشان .

وفي مجموعة سمو الأمير يوسف كمال جزء كبير من سجادة ذات صرة ، وأرضيتها حمراء في الوسط وزرقاء في الأركان . أما الصرة فعلى هيئة مربع ذي أضلاع غير مستقيمة بل فيها انكسار هندسي . وتكثر في هذه السجادة

النفيسة زخارف المراوح النخيلية والسحب الصينية . وأكبر الظن أنها من
صناعة شمال غربي إيران في النصف الأول من القرن العاشر الهجري^(١)
(السادس عشر الميلادي) .

وقد تطورت السجاجيد ذات الحمامة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر
بعد الهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر بعد الميلاد) إلى طراز السجاجيد
الحديثة التي تنسج في كراغ والتي تشبه السجاجيد القديمة في الشكل والرسوم
والألوان .

السجاجيد ذات الزهريات

ويظن أنها كانت تصنع في الاقاليم الوسطى من إيران في القرنين
العاشر والحادي عشر بعد الهجرة (السادس عشر والسابع عشر بعد الميلاد) .
وقد امتاز بها عصر الشاه عباس حتى أنها تنسب إليه في بعض الأحيان .

وقد غلبت هذه التسمية على هذا النوع من السجاجيد لأن في زخارفه
رسوما تشبه الزهريات . وعلى كل حال فإن زخارفه كلها من الزهور وليس
فيه زخارف تتوسط السجادة ، وإنما كل رسومه مرتبة في توازن حول محورها
الأوسط . وتمتاز السجاجيد ذات الزهريات بمناحتها ، ودقة صناعتها ، وكثافة
وبرها ، وضيق إطارها ، وأرضيتها الزرقاء أو الحمراء ، وبما فيها من معينات
من سيقان الزهور والفروع النباتية والزهريات والزهور ، والمراوح النخيلية
(بالمت) ، كما نلاحظ أن زخارفها غير متأثرة بأساليب المصوّرين والمذهبيين
والمجلدين ، وأن الألوان التي استخدمت فيها مختلفة جدًا وبراءة وغير هادئة ؛

(١) انظر A Survey of Persian Art ج ٦ ص ١١٧

أما في المساحة فإنها تمتاز بأنها طويلة بالنسبة إلى عرضها، فقد يبلغ طولها في بعض الأحيان ثلاثة أمثال عرضها .

السجاجيد ذات الرسوم الحيوانية

وأكبر الظن أنها من صناعة شمالي إيران في القرنين العاشر والحادي عشر بعد الهجرة (السادس عشر والسابع عشر بعد الميلاد) وهي إما تمثل مناظر صيد كالسجادة المشهورتين في متحف فينا ومتحف الفنون الزخرفية في باريس ، وإما تمثل رسوم حيوانات خرافية أو محوّرة عن الطبيعة وعلى أرضية مملوءة برسوم الزهور والنبات .

وقد أفلح بعض صنّاع السجاد في إكساب هذه الرسوم روحاً وحياة وحركة دونها ما وصل إليه أعلام المصورين والمذهبيين .

ومن أجمل السجاجيد ذات الرسوم الحيوانية سجادة من الصوف محفوظة في المتحف المتروبوليتان بنيويورك وأصلها من ضريح الشيخ صفى الدين في أردبيل ، وقوام زخارفها رسم متكرر يمثل أسداً ونمراً يهاجمان حيواناً من حيوانات الصين الخرافية . وإطار هذه السجادة مكون من فروع نباتية متصلة (أرابسك) ويدها رسوم سحب صينية (تشي)^(١) .

وفي نفس المتحف سجادة حريرية بديعة تنسب إلى قاشان

(انظر شكل ٦٦) ؛ وزخارفها الحيوانية في ستة صفوف، نرى فيها الأسد والفهد والنمر والتنين والغزال وابن آوى والثعلب والأرنب على أرضية من الأشجار والزهور؛ أما الاطار فمن مراوح نخيلية يحف بكل منها طائران بريان .

(١) انظر A Survey of Persian Art ج ٦ ص ١١٧٧

السجاجيد البولندية

هي سجاجيد من الحرير محلاة بخيوط الذهب والفضة ، ولعلها من منتجات مصانع البلاط باصفهان في نهاية القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وبداية الحادي عشر . وقد غلبت عليها هذه التسمية لأنها كانت تنسب الى بولندا حينما من الزمن .

أما زخارفها فخليط من زخارف الأنواع الأخرى من السجاجيد الإيرانية ، وألوانها غنية . وفي أكثر الأحيان لا تكون الأرضية كلها ذات لون واحد ، بل تكون السجادة ذات أرضيات مختلفة الألوان . وأهم الألوان المستخدمة في السجاجيد البولندية هي الأصفر الفاتح والأخضر الباهت والبرتقالي والأزرق الفيروزي والأحمر القرمزي . ولم يكن هذا النوع دقيق الصناعة ولذا كانت أكثر النماذج الباقية منه في حالة غير جيدة .

ومن أقدم السجاجيد البولندية المعروفة واحدة بين الكنوز الفنية في كاتدرائية سان مارك بمدينة البندقية ، أهداها سفير الشاه عباس الى حاكم البندقية (الدوج) سنة ١٦٠٣م ، كما نعرف أيضا أن بعثة من شاه إيران أهدت الى دوق هولشتاين جوتورب Hollstein Gottorp سنة ١٦٣٩ ست سجاجيد "بولندية" نفيسة ، بينها سجادة التويج المشهورة والمحفوطة الآن في قصر روزنبرج Rosenborg بمدينة كوبنهاجن . ولذا فان المرجح أن هذه السجاجيد "البولندية" ذات الألوان الرقيقة والأرضية الفضية أو الذهبية التي تلائم الذوق الغربي ، كانت تصنع في إيران لتهدى الى الملوك والأمراء في الغرب .^(١)

(١) انظر Loan Exhibition of Persian Rugs of the So-called Polish Type (The Metropolitan Museum of Art, New York 1930).

السجاجيد المزخرفة برسوم الحدائق

كانت تصنع في شمالي إيران في القرنين العاشر والحادي عشر بعد الهجرة (السادس عشر والسابع عشر بعد الميلاد)؛ ولكن في المصادر التاريخية أن كسرى الأول (٥٣١ - ٥٧٩ م) كان يملك سجادة نفيسة عليها رسم صادق لروضة غناء . أما السجادة التي كانت في قصر كسرى الثاني بالمداين ثم وقعت غنيمه في يد العرب الفاتحين ، فقد أطنب المؤرخون في وصف حديقته وأشجارها وقنواتها وطيورها وزهورها .

وعلى كل حال فإن زخارف هذا النوع من السجاجيد تبدو كأنها خريطة أو مصوّر لحديقة ، يبين طرفاتها وأقسامها ومجاري المياه فيها فضلا عما فيها من النبات والزهور .

والواقع أن حب الحدائق والزهور من أبين الصفات في الفن الإيراني ، وأن الزهور والنباتات تزين أرضية أكثر أنواع السجاجيد المعروفة^(١) . ولم يكن غير طبيعي عند الإيرانيين أن تكون الحدائق والزهور في السجاجيد ميدانا للحيوانات المختلفة كالأسد والفهد والنمر والغزال والثعلب وحمار الوحش ؛ فضلا عن الطيور ، والحيوانات الخرافية التي يرجع معظمها الى الأساليب الفنية والأساطير السائدة في الشرق الأقصى .

وأقدم المعروف من السجاجيد المزخرفة برسوم الحدائق واحدة محلاة بنحیوط الذهب والفضة ومحفوظة في مجموعة فيجدور Figdor في فينا وترجع

(١) من أبيات الشعر المكتوبة على السجادة المحفوظة في متحف بولدي بدزولي والتي مر ذكرها بيت الشعر الآتي :

بوسنا نیست پراز لاله وكل * زان سبب کرده دروجا بلبل

ومعناه : إنها (السجادة) حديقة ملاءى بالسوسن والورد ولذا اتخذها البلبل سكنا له .

الى نهاية القرن العاشر الهجرى^(١) (السادس عشر الميلادى)؛ ولكن أكثر النماذج المعروفة ترجع الى القرن الثانى عشر الهجرى .
وأكبر الظن أن هذه السجاجيد كانت تصنع لتهدى الى ملوك أوروبا وأمرائها . وكانت تدخل فى نسجها خيوط الذهب والفضة .

السجاجيد المزخرفة برسوم الزهور

كانت تصنع فى خراسان ، وتنسب فى أكثر الأحيان الى هراة . ومعظمها يرجع إلى القرنين العاشر والحادى عشر بعد الهجرة (السادس عشر والسابع عشر بعد الميلاد) . وقوام زخارفها فروع نباتية ومراوح نخيلية (يالمت) ورسوم سحب صينية . وقد جاءت هذه السجاجيد فى بعض اللوحات الغربية من القرن السابع عشر الميلادى . والأرضية فى معظم السجاجيد المنسوبة الى هراة حمراء اللون بينما الإطار أخضر . ونلاحظ فى سجاجيد هراة المصنوعة فى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) أن رسوم المراوح النخيلية فيها أكبر وأنها تشتمل فضلا عن الزخارف المعروفة فى القرن السابق على وريقات طويلة مقوسة وأنها أقل دقة فى الصناعة وانسجاما فى الألوان .

ولا عجب فى أن تكون خراسان مركزا عظيما من مراكز صناعة السجاد؛ فقد كان هذا الاقليم فى طليعة الأقاليم الايرانية فى الأدب والسياسة والفن . وقد ازدهرت فيه منذ القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) أساليب فنية فى عصر الدولة الغزنوية والعصور التالية ، وكانت هراة مركزا

(١) أنظر شكل ٣٧ من Bode-Kühnel: Vorderasiatische Knüpftteppiche .

عظيما من مراكز الثقافة الإيرانية . فضلا عن أن هذا الاقلم امتاز بصوفه الطيب وأصباغه الصالحة .

سجاجيد الصلاة

كانت تصنع في شمال غربى إيران، ولاسيما في تبريز، وامتازت بالآيات القرآنية المكتوبة بالخط النسخى والكوفى والنستعليق فى أرضية السجادة وفى مناطق تحف بها . ويتوسط السجادة رسم عقد يمثل المحراب . ومعظم المعروف من هذا النوع لم يكن غاية فى الجمال والابداع؛ لأن الفنان لم يفلح تماما فى أن يستخدم الكتابة عنصرا زخرفيا متقنا .

وأبداع النماذج المعروفة من هذا الطراز سجادة حريرية محلاة بنحيطوط معدنية وترجع الى نهاية القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، وقد كانت فى مجموعة السيدة پارافيتشيني ثم اشتراها حضرة صاحب السمو الأمير يوسف كمال^(١) .



وصفوة القول أن السجاد كان للإيرانيين ميدانا واسعا لاطهار تفوقهم فى اختيار الألوان . وقد بلغ ما استخدموه منها فى بعض الأحيان زهاء عشرين لونا فى السجادة الواحدة . ومع ذلك فقد أصابوا أبعد حدود التوفيق فى ترتيبها، بحيث تكون السجادة وحدة متماسكة فى ألوانها . وكانت مصانع البلاط تبذل الجهود الوافرة فى إنتاج السجاجيد التى تمتاز عن سائر الأنواع المعروفة والتى تبعث العجب بجمالها وحسن تنسيقها وإبداع مادتها وزخارفها .

(١) راجع G. Wiet : L'Exposition Persane de 1931 ص ٨٧ ولوحة ٤٣

والظاهر أن السجاجيد الإيرانية لم تكن تصنع كلها لتفرش على الأرض؛ فاننا نرى في صور المخطوطات رسوم بعض السجاجيد المعلقة أو التي تظل مجلسا من المجالس . وقد كان تعليق السجاجيد في الحفلات أمرا معروفا في أوروبا في عصر النهضة، كما أننا لا نزال نرى أثره حتى اليوم في تعليق الأبسطة الثمينة من الشرفات التي يطل منها الملوك أو رؤساء الحكومات على الشعب أو يستعرضون منها جيوشهم أو فريقا من رعاياهم .



وفي مصر مجموعة ثمينة جدا من السجاد الإيراني تعد من أكل مجموعات العالم في هذا الميدان . وهي للدكتور على باشا إبراهيم عميد كلية الطب وقد قضى في جمعها السنين الطوال، وبذل النفقات الطائلة . وفي الحق أن كثيرا من سجاجيد هذه المجموعة لا نظيره الا في قليل جدا من المتاحف أو المجموعات الخاصة الأوروبية . ولذا كانت كعبة الاخصائيين في الفنون الاسلامية، يحرصون على مشاهدتها كلما القوا عصا التسيار في مصر؛ فضلا عن أن بعض التحف من هذه المجموعة قد عرض في أعظم المعارض الدولية للفن الإيراني أو الفنون الاسلامية .

أما دار الآثار العربية فليست غنية جدا في السجاد الإيراني النفيس؛ لأنها لم تبدأ في العناية بجمعه إلا في السنوات الأخيرة . ولعل أبداع ما فيها سجادة من الحرير الموشى بالذهب والفضة ترجع الى نهاية القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وتتكون زخارفها من السيقان والفروع النباتية الدقيقة المتصلة بخطوط متعرجة على شكل السحب الصينية (تشي)؛

ويتوسط هذه السجادة جامة كبيرة ذات فصوص عديدة، أما الاطار فيتكون من خمس مناطق غير متساوية في العرض، وأعرضها المنطقة الثانية من الخارج وبها بحور فيها كتابات^(١). وأكبر الظن أن هذه التحفة من صناعة شمال غربى إيران. وقد أهداها الى الدار حضرة صاحب السمو الأمير يوسف كمال.

كما أن فى دار الآثار جزءا من سجادة نفيسة مصنوعة من الصوف وقوام زخارفها زهور كبيرة محورة ومنسقة وبعيدة عن الطبيعة وذات ألوان متعددة على أرضية ذات لون أزرق قاتم. وهذه القطعة من أجمل التحف المعروفة من السجاجيد « ذات الزهريات »^(٢).

وفى الدار، عدا ذلك، سجاجيد إيرانية أخرى، ولكنها من صناعة القرنين الثانى عشر والثالث عشر بعد الهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر بعد الميلاد).

(١) أنظر Wiet: l'Exposition Persane de 1931 ص ٨٨، ولوحة ٤٤

(٢) المصدر السابق.